الأمن الخارجي في الحقبة الناصرية

القوات المسلحة والبيروقراطية العسكرية

إن من أوجب واجبات الزعيم الحق نحو شعبه توفير الدفاع عن حدود الوطن من أي عدوان خارجي يريد أن يعتدي على أرضه ، أو يهدد أمنه . لذا يجب أن يضع تقوية الجيش : تسليحاً ، وتدريباً ، وقيادةً نصب عينيه .

لكن هذا الواجب كان أبعد الأمور عن تفكير نظام الحكم الناصري إذ كانت مهمة القوات المسلحة قاصرة على شيء واحد لا ثاني له وهو حماية النظام الناصري وإن تعرَّض أمن الوطن للخطر !!

يقول الفريق فوزي عن البيروقراطية العسكرية : " التصق هذا الداء بالقوات المسلحة المصرية بعد نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢ بهدف إظهار سيطرتها ونفوذها فهي مُفَجِّرة الثورة وأداة التغيير فيها ، وبعد استقرار الحكم على أكتاف القوات المسلحة ظهرت البيروقراطية العسكرية كأسلوب في دفع عجلة الثورة نحو الإنجازات السياسية والاجتماعية ، ولكن كان رد الفعل الأول لتطبيق الأسلوب البيروقراطي ، على القوات المسلحة نفسها ، فخرجت عن مهمتها الأساسية وهو الإعداد للقتال ، وركزت على زيادة السيطرة والنفوذ ، وكانت التقارير والبيانات الخاطئة التي ترفع إلى القيادة العسكرية والسياسية تشيد بقدرة القوات المسلحة وكفاءتها ، الأمر الذي سبب خطأ في التقديرات التي بُني عليها قرار الحرب .

كان أقرب وصف لحالة القوات المسلحة يكمن في العبارة التي قالها الرئيس عبد الناصر للرئيس هواري بومدين عقب الهزيمة ١٩٦٧ : " إن موقفنا أشبه بالسمكة التي

أمسكت برأسها صنارة الإمبريالية العالمية ، وكان ذلك بسبب تغلغل البيروقراطية العسكرية فينا ".

وكانت القيادة العليا قبل عام ١٩٦٧ تتكون من المشير وأعضاء مكتبه الخاص ، وشمس بدران ، وإدارة المخابرات الحربية . فركزت هذه القيادة طول الوقت على إجراءات الأمن التي ترتب عليها تولي المراكز القيادية والحساسة – أي قيادات التشكيلات الميدانية والوحدات المقاتلة – من قِبَل أفراد ليسوا دائمًا على مستوى الكفاءة العسكرية وظل هؤلاء القادة أنفسهم في مناصبهم حتى بداية المعركة مشكلين عصب البيروقراطية العسكرية المعوقة في القوات المسلحة.

وانغمست البيروقراطية العسكرية في الخداع الإعلامي بقصد السيطرة على الشعب المصري أيضًا فكانت الاستعراضات العسكرية التي تقام بمناسبة ذكرى ٢٣ يوليو تضخم قدرات القوات المسلحة التي هي " جيش الشعب " وتظهرها إعلاميًّا على أنها معجزة من ناحية العدد والتسليح بينما كان التدريب الحقيقي على استخدام أسلحة القتال، والتدريب المشترك على مستوى التشكيلات الكبرى مظهريًّا ، كما أن القوات المسلحة حتى عام ١٩٦٧ لم تمارس عمليًّا أسلوب وإدارة العمليات المشتركة ، وأسلوب تنظيم التعاون بين التشكيلات المختلفة أو الأسلحة المعاونة ، ولكنه كان يدرَّس نظريًّا في المعاهد العليا فقط . " [1]

لماذا توقفت المناورات العسكرية بعد سنة ١٩٥٤ ؟

العجيب أنه منذ استيلاء عبد الناصر على حكم مصر فعليّاً – بعد أزمة مارس ١٩٥٤ – قد توقف عن إجراء مناورات وتدريبات بالجنود لرفع قدرتها القتالية.

يقول أمين هويدي (الذي تولى وزارة الحربية بعد هزيمة يونيو ٦٧) : " في كل عام تخصص في الميزانية مبالغ ضخمة لتدريب القوات المسلحة ، والمفروض أن

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " دار الوحدة للطباعة والنشر ط٢ ص ٥٦ ، ٥٧ .

تتفق هذه المبالغ لرفع الكفاءة القتالية للوحدات ، ولكن الذي حدث خلاف ذلك. إذ أنه في عام ١٩٥٤ قام الجيش بمناورة عامة بالجنود سميت المناورة "انتصار" كنت أعمل فيها أركان حرب هيئة التحكيم إذ كنت وقتئذ مدرساً بكلية أركان حرب. والشيء المذهل والثابت أن القوات المسلحة لم تقم بعد هذه المناورة بمناورة عامة بالجنود ! "[١]

وتوقف المناورات بالجنود رغم أهميته القصوى التي بينها أمين هويدي منذ ١٩٥٤ يؤكد ما ذكره ثروت عكاشة من خوف النظام من أن تمثِّل هذه المناورات والتدريبات خطراً على نظام عبد الناصر فآثر تأمين نظامه بإضعاف القدرة القتالية للقوات المسلحة على تامين حدود الوطن برفع قدرتها القتالية عن طريق المناورات الحقيقية والتدريبات المستدامة !! وكانت النتيجة الطبيعية أن العدوان الإسرائيلي على أرض مصر لم يتوقف حتى قرب وفاة عبد الناصر بشكل ليس له مثيل في تاريخ مصر كله.

يقول الفريق فوزي : " إن التدريب الجدِّي الشاق والمتواصل لرفع الكفاءة والمقدرة القتالية للقوات المسلحة ، العاملة والاحتياطي ، هو الأساس الأول لكسب أي معركة بشرط متابعة تنفيذه واستمراره بكل دقة ... إن القوات المسلحة لم تعط هذا الموضوع حقه من الممارسة الحقيقية .. وكثيراً ما كان يعترض إتمام التدريبات ظروف يدَّعي أنها أمنية أي معارضة لواجبات الأمن أو يعترض التدريب شكوى القادة الصغار " المقربين أيضًا " من التعب والإجهاد في مواصلة التدريب ... وكانت النتيجة أنه لم يتم تدريب أي لواء من الجيش في سنوات ما قبل ١٩٦٧ .. كما كانت تقارير متابعة التدريب التي ترفع إلى المشير مضللة – لتظهر مجهود القائمين على التدريب فقط ، دون التفات لإظهار الحقيقة كانت هذه الأساليب المضللة والخادعة هي الوسيلة المفضلة لدى الأفرع الرئيسة للقوات المسلحة هم المسئولون بعد المشير عن تدريب قواتهم .

([١]) أمين هويدي : " أضواء على أسباب نكسة ٦٧ وعلى حرب الاستنزاف ٦٧ " دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ص ٩٦ ، ٩٧ .

والذي يدَّعي في ذلك الوقت – أي في سنوات ما قبل ١٩٦٧ – إن ممارسة معظم القوات المسلحة لواجباتها في اليمن يعتبر تدريبًا عمليًّا ، وتأهيلاً لها للقيام بواجبها الأكبر ضد إسرائيل يكون ادعاؤه باطلاً . " [1]

لماذا أعفِى خريجو الجامعات والمعاهد العليا من التجنيد ؟

لقد وصل الأمر بالقائمين على الجيش أن أخلو القوات المسلحة من خريجي الجامعات والمعاهد العليا وجعلوه جيشاً من الأميين : إمعاناً في الأمن !!

يقول الفريق فوزي : " إن الجنود في أي قوات مسلحة هم عصب أي معركة ومع ذلك فقد كانت الغلبة بين ضباط الصف والجنود في أفرع القوات المسلحة الرئيسية " للأميين " .. أي أنه لم يكن بين صفوف القوات المحاربة أي التشكيلات الميدانية في القوات المسلحة جنود مؤهلات عليا أو جامعيون.

لماذا لم تقبل القيادة العليا في ذلك الوقت المؤهلات الجامعية بين صفوف المجندين في القوات المسلحة على الرغم بأن القانون الذي صدر بعد الثورة مباشرة يجعل التجنيد خدمة وطنية وإجبارية على جميع سباب مصر اللائق طبيّاً للخدمة؟

ونترك الفريق فوزي ليرد عن هذا السؤال : " السبب كما علمته من مناقشة هذا الموضوع على أعلى مستوى من القيادات العسكرية المسئولة في هذا الوقت ، كان تخوُّف القيادات العليا من دخول الجامعيين لأسباب أمن القوات المسلحة ، وكثيرًا ما عارضت هذه الفكرة وهذا التخوُّف وأبديت الدلائل والأساليب لمعالجة هذا الموضوع كي تكتسب القوات المسلحة عنصرًا متفوقًا عقليّاً علاوة على المكاسب الزمنية مثل قصر مدة التدريب ، والمكاسب المعنوية والأدبية التي تعود على القوات المسلحة وعلى الشعب نفسه ولكن لم يستجب إلى رأيي أحد . " [2]

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " ص ٥٩ ، ٦٠ .
([2]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق ص ٦٣.

وكان طبيعيّاً والحالة هذه أن تكون الهزيمة حليف هذا الجيش فلم يحقق أي نصر في أي معركة دخلها فقد هزم في حرب ١٩٥٦ ، ولم يستطع أن يحقق النصر الحاسم على العصابات غير النظامية في اليمن ، ولم يحافظ على الوحدة مع سوريا، ولم يصمد لبضع ساعات أمام الجيش الإسرائيلي حيث قُضِيَ عليه تماماً في ١٩٦٧.

الأمن الخارجي بعد هزيمة يونيو ٦٧

يقول أمين هويدي عن الأمن الخارجي لمصر بعد هزيمة ٦٧ : " أصبحت مصر عارية دون غطاء . فسماؤها مكشوفة مباحة لطائرات العدو تنتهكها وقت ما تشاء دون ما اعتراض ." [١]

بل أصبت القاهرة مُعرَّضة للاحتلال فقد كان الطريق أمام الإسرائيليين إلى القاهرة مفتوحاً كما صرَّح بذلك عبد الناصر نفسه وقادة الجيش المصري أنفسهم.

يقول أمين هويدي : " لم تكن القوات البريَّة أسعد حظاً من القوات الجويَّة في حرب يونيو ٦٧ فقد خرجت من المعركة وقد تكبدت خسائر فادحة ، فقدت على أرض سيناء آلاف عزيزة من الضحايا ، علاوة على أغلب المعدات من دبابات وعربات وقطع المدفعية والصواريخ وأجهزة الاتصال ، وكان العدو في ذلك الوقت قادراً على عبور القناة في طريقه إلى القاهرة دون أن يكون في الإمكان توفير مقاومة جدية تعترض سبيله . "[٢]

وأصبت مصر مثار سخرية أعدائها يقول د. فايز منصور (طبيب عبد الناصر الخاص) : " في أحد الأيام وجدت صلاح نصر في حالة توتر عصبي ، وقد اختفت الابتسامة ، التي كثيراً ما كانت تبدو على وجهه ، وعرفت أن سبب ذلك كان حديثاً صحفيًّا قرأه لموشى ديان الذي سُئِل : لماذا لم تدخل القاهرة بعد هزيمة يونيو ؟ أجاب

([1]) أمين هويدي : " أضواء على أسباب نكسة ٦٧ وعلى حرب الاستنزاف ٦٧ مرجع سابق ص ١٣٠.
([2]) نفسه ص ١٣٥.

بوقاحة وغطرسة : " كانت القاهرة تفتح لي ذراعيها ، ولكني لم أدخلها حتى لا أضطر إلى إطعام ثلاثين مليون خنزير " [١]

إلى هذا الحد هُنَّا في نظر أعدائنا ، إلى هذا الحد يصل استهزاء أعدائنا بنا ، ومع ذلك لا يكف الناصريون عن ترديد أن أهم منجزات جمال عبد الناصر أنه خَلَق [٢] في المصريين العزة والكرامة !!

﴿ هَأَنْتُمْ هَؤُلاء جادلتم عَنْهُمْ فِى الحياة الدنيا فَمَن يجادل الله عَنْهُمْ يَوْمَ القيامة ﴾ [النساء – ١٠٩]

السوفييت يحمون سماء مصر من العدوان الإسرائيلي

بعد كارثة ٦٧ أصبحت سماء مصر مكشوفة ، والطيران الإسرائيلي يصول فيها ويجول دون رادع، وفي زيارة سرِّية قام بها عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي بعد زيادة غارات إسرائيل على العمق المصري يرجوهم المساعدة في وقف غارات إسرائيل.

يسأل مذيع قناة الجزيرة أحمد منصور ، الفريق سعد الدين الشاذلي : في عام ١٩٦٩م تم تدمير قوات الدفاع الجوي المصرية وبطاريات الصواريخ، وأصبحت سماء مصر مفتوحة أمام الطيران الإسرائيلي، يصول ويجول فيها كما يشاء. تحرك الرئيس عبد الناصر وسافر إلى موسكو وأرسلت روسيا قوات عسكرية روسية لحماية مصر، والدخول في مواجهات مباشرة مع الإسرائيليين .. كيف كان حجم هذه القوات ؟ وماذا كان دورها بالضبط ؟

سعد الدين الشاذلي : كما ذكرتَ تماماً، بحلول ديسمبر سنة ١٩٦٩م كان قد تم تدمير عناصر الدفاع الجوي في مصر من رادارات وصواريخ، وأصبحت سماء مصر مفتوحة يمرح فيها طيران العدو كما يشاء، وضرب أهداف مدنية، وضرب بعض

([1]) د. منصور فايز " رحلتي مع عبد الناصر " دار الملتقى للطباعة والنشر ص ٧٧ .

([2]) الخَلْق في اللغة معناه : الإيجاد من العدم على غير مثال سابق .

الأهداف العسكرية . فجمال عبد الناصر سافر إلى موسكو، لأنه وجد إن الموقف خرج عن أيدينا، ويعني ما عندناش الإمكانيات، فكان لازم تجيب الصواريخ، ولازم يكون عندك إمكانيات ولازم حد يحميك، لأن إسرائيل مش مدِّية لك فرصة إنك أنت تبني قواعد الصواريخ، فكان لازم عنصر جديد يدخل، فاتفق في هذه المرة على أن تحضر –لأول مرة– قوات عسكرية سوفيتية..

أحمد منصور: هل لعبت القوات للعسكرية للسوفيتية دور في الدفاع عن مصر؟

سعد الدين الشاذلي : طبعاً .. طبعاً لعبوا دور...

أحمد منصور: هل هذا كان سري أم الإسرائيليين كانوا على علم به ؟

سعد الدين الشاذلي: السر أصبح حقيقة يوم ١٨ إبريل ١٩٧٠م . طلع الطيران السوفيتي –لأول مرة– ليتصدى لطائرات إسرائيلية مُغيرة، فطبعاً الطيارات لما بتطلع الموجهين –من تحت– هو بيكلم زميله بالروسي، والموجه بيوجه بالروسي .. محطات الاستماع في داخل إسرائيل وداخل الأسطول السادس الأمريكي في البحر .. كل دول بيلتقطوا كل هذا مسموع .. فكان هذا بداية الإعلان الرسمي إن الروس موجودين في مصر، وحصل اشتباك .

أحمد منصور: لكن هذه كانت المرة الأولى والأخيرة التي شاركتْ فيها قوات روسية أو سوفيتية بشكل مباشر في القتال إلى جوار المصريين ؟

سعد الدين الشاذلي: هذا حقيقي، لأن بعد هذه المعركة، دي كانت رسالة لإسرائيل ورسالة لأمريكا إن السوفييت موجودين بشكل مباشر، فيبدو إن أمريكا برضه ضغطت على إسرائيل ما تزودهاش في إيه في الهجمات التي تقوم بيها، وتتفادى الاشتباك مع القوات السوفيتية. وكان الهجمات اللي بتحصل بعد كده في إنهم يقوموا يضربوا أهداف أرضية عندنا ويجربوا، يضرب هدف برضه، وكنا نبني قواعد الصواريخ، ويضربوا الأهداف الأرضية ويجروا .

أحمد منصور : السوفييت لم يزيدوا عن ٦ آلاف ؟!

سعد الدين الشاذلي : لأ .. حوالي ألف مستشار، و ٦ آلاف قوات عسكرية، وحوالي ٧٠٠ ما بين عائلات وخبراء، يعني كانوا كلهم حوالي ٧٦٠٠ أو ٧٧٠٠ واحد . " [١]

إذن كانت سماء مصر مفتوحة أمام الطيران الإسرائيلي بعد حرب يونيو ٦٧ والذي كان يحمي سماء مصر حتى وفاة جمال عبد الناصر زعيم القومية العربية ليس قوات الدفاع العربية المشتركة بل القوات السوفييتية !!

يقول ديان – وزير الدفاع الإسرائيلي حينئذ – عن الأسباب التي دفعت عبد الناصر إلى الاستعانة بالسوفييت ليحموا سماء مصر من هجمات الطيران الإسرائيلي : " تم قصف حوالي ٢٠ هدفاً خلال الأشهر من يناير حتى مارس عام ١٩٧٠ ، وقد اكتشف عبد الناصر أن جيشه عاجز عن منع تلك العمليات الجوية، وفي أول يناير طار عبد الناصر إلى موسكو وطلب من القادة السوفييت أن يرسلوا له بعض القوات السوفيتية ، ووافق الاتحاد السوفييتي ، وفي أول أبريل وصلت ثلاث فرق من الطيران بطاقمها وكلف الطيارون السوفييت بحماية سماء الإسكندرية والقاهرة وأسوان ، وتولى السوفييت قيادة بطاريات صواريخ سام ٣ ونظام الدفاع الجوي كله في مصر . " [٢]

وكان عبد الناصر يشترط على الضباط السوفييت الموجودين في مصر ألا يلبسوا ملابسهم العسكرية الرسمية للجيش السوفيتي حتى لا يُعِيد إلى أذهان المصريين صورة الاحتلال الإنجليزي !!

يقول عبد الناصر لكبير الخبراء السوفييت حسب رواية هيكل : " إذا أي أحد من ضباطكم ارتدى بدلة عسكرية وهو موجود في مصر يباشر مهامه في الدفاع عن العمق فليس هناك ما يمنع الشعب المصري أن يقارن ما بين وجودكم عندنا وما بين وجود البعثة العسكرية البريطانية في مصر قبل الثورة . " [٣]

([1]) الفرق سعد الدين الشاذلي برنامج " شاهد على العصر" الجزيرة نت بتاريخ ١٩٩٩/٣/١٣ .
([2]) مذكرات موشيه ديان بعنوان " ديان يعترف " إعداد شوقي إبراهيم دار التعاون للطبع والنشر ص٢٥٧.
([3]) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " حلقة أذيعت بتاريخ ٢٠١٠/٥/٢٧ الجزيرة نت .

وهكذا دافع السوفييت عن العمق المصري ومنعوا غارات الطيران الإسرائيلي ، ولقد استمرأ السوفييت تواجدهم في مصر واتخذوها قاعدة عسكرية لهم ، وقد حرصوا على تهدئة الصراع العربي / الإسرائيلي حتى يضمن حاجة العرب إليه واعتمادهم عليه ، ولقد ذكر قادة الجيش المصري أن الاتحاد السوفيتي لم يكن راغباً في نشوب حرب أخرى بين مصر وإسرائيل وأنه استغل جنوده ومعداته في مصر ليفرض وصايته على الجيش المصري ، ويتخذ من مصر قاعدة عسكرية له.

وقد صرَّح الفريق أول محمد أحمد صادق القائد العام للقوات المسلحة بعد الفريق محمد فوزي : " وليس بخاف أن القادة السوفيت كانوا ضد فكرة نشوب حرب جديدة بين العرب وإسرائيل " [1]

مناطق عسكرية مصرية محظورة على الضباط المصريين !

وإذا كان المصريون حظروا على الروس ارتداء ملابسهم العسكرية وهم متواجدون في مصر للدفاع عن العمق المصري والأهداف المدنية فإن الخبراء السوفييت حظروا على العسكريين المصريين مهما كانت رتبتهم من الدخول إلى هذه المواقع المصرية!!

يقول موسى صبري : " إن المخطط السوفيتي يعمل كالإخطبوط وقد كانت سنوات العمل مع جمال عبد الناصر فرصه كبرى كي يثبِّت الروس أقدامهم في مصر . وكانت أزمتنا مع إسرائيل هي سبيلهم إلى الوجود وانتهى بنا الأمر إلى وجود عسكري سوفيتي تجاوز العشرين ألف ضابط وجندي وخبير وكانت في مصر مناطق عسكرية سوفيتية مُحرَّمة على السلطات المصرية . وكانت في مصر أسلحة سوفيتية لا تستخدم إلا بأوامر من موسكو وكانت في مصر شخصيات في مواقع رسمية بدأت تعمل على أساس أنها تستمد وجودها من السلطات السوفيتية لا من السلطات الشرعية وبدأت موسكو تستقبل هذه الشخصيات التي كانت تتسابق في تأكيد ولائها لأباطرة الكرملين ." [2]

([1]) نقلا عن جمال حماد " المعارك الحربية على الجبهة المصرية " دار الشروق ص ٣٣ .

([2]) موسى صبري جريدة الأخبار ٢٩ / ٦ / ١٩٧٨ .

وما قاله موسى صبري عن الخبراء السوفييت ليس كلاماً مُرْسلاً إنما حقائق ثابتة يؤكدها كل من كانت له علاقة بهؤلاء الخبراء .

يقول المهندس عثمان أحمد عثمان في كتابه " صفحات من تجربتي " : " في أوائل عام ١٩٧٠ استدعاني السادات – نائب الرئيس الجمهورية – وقال لي : عندنا ٢٦ طائرة " تي .. يو " وأن هذه الطائرات تمثل هدفاً إسرائيلياً لإسرائيل ، لذا فهي تريد تحطيمها بأي ثمن ونريد أن ننشئ لها حظائر بأسرع ما يمكن ، وأمتن ما يمكن .

وسألت السادات عن مكانها بقصد معرفة مقاساتها لكي نقيم لها الحظائر المناسبة، وأجاب بأنها في السودان حيث تم نقلها إلى هناك لأن طائرات إسرائيل تستطيع أن تنالها في أي عمق من عمق مصر .

إلى ذلك الحد كانت سماء مصر مفتوحة . قبل أن نقيم فيها قواعد حائط سد الصواريخ في مواجهة طيران إسرائيل

وكان في ذلك الوقت الفريق أول محمد فوزي وزيراً للحربية ، والفريق محمد أحمد صادق رئيساً للأركان .

استقبلنا الفريق صادق في مكتبه ، واتفقنا على أن نذهب صباح اليوم التالي إلى مطار غرب القاهرة ومعنا ثلاثة من كبار الضباط الذين حضروا مقابلة رئيس الأركان، واتفقنا على أن نلتقي أمام بوابة المطار في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي .

وعندما ذهبنا وجدنا سلكاً شائكاً فتحت فيه بوابة في مكان بعيد جداً عن موقع المطار ، ووجدنا أمام تلك البوابة الضباط المصريين الكبار الثلاثة وبادرتهم قائلاً : هيا بنا لكي ننجز المهمة ، وكانت المفاجأة ، ممنوع على المصريين مهما كانوا دخول مطار غرب القاهرة العسكري الذي يتمركز فيه الروس ، ويتخذون منه قاعدة عسكرية لهم داخل مصر.

هكذا قال لي الضباط الكبار، وهذا ما قالته لهم السلطات الروسية داخل المطار.

قلت: ولكن أمر دخولنا إلى المطار صادر من وزير الحربية ، والقائد العام للقوات المسلحة .

قال الضباط : ولكن الروس أصروا على منعنا من الدخول ، بل والأكثر من ذلك رفضوا حتى مجرد التفاهم معنا .

في تلك اللحظة شعرت بدوار ، لم أصدق ، ولم أتصور ، ومع دوار رأسي دار شريط الأفكار ، وعادت ذاكرتي ، ذكريات الجيش الإنجليزي الذي كانت له في الإسماعيلية معسكرات كان يمنع علينا نحن أبناء مصر دخولها .

ورغم المحاولات التي بذلها الضباط المصريون ، للمرة الثانية إلا أن الرد كان خالصاً ، ممنوع . واضطررنا إلى العودة مرة أخرى بعد أن منعنا الغرباء من دخول أحد بيوتنا التي كان لا ينبغي أن يتصرفوا فيها إلا بإرادتنا . منتها المهانة الوطنية أن تستأذن الغرباء في دخول بيوتنا ، ويأليتهم سمحوا .

وفهمت مما دار من اتصالات أن وزير الحربية اتصل بالروس وأستبعد أن الأمر قد وصل إلى موسكو قبل أن نحصل على الإذن بدخول المطار . وكانت في انتظارنا مفاجأة أخرى ، عندما عدنا – في المرة الثانية – وسمحوا لنا بدخول المطار وجدنا تعليمات واضحة وصريحة ، قال الروس مسموح لنا فقط برؤية الطائرات وغير مسموح لنا بالاقتراب منها أو لمسها.

وكان أن حاولت من جانبي أن أقنع الروس في المطار بأننا نريد أن نعرف مقاسات الطائرة من حيث ارتفاعها وطولها وعرضها لكي نجهز لها الحظيرة التي تناسبها ؛ حتى نقيها شر غارات الطيران الإسرائيلي ، ولكن دون جدوى .

وأنقذ الموقف أحد الضباط المصريين الذين كانوا معنا عندما قال : إنهم جهلاء ، لا يفهمون شيئاً ، دون أن يدروا أنهم مغفلون ، أما المقاسات فسوف أحضرها لكم ، إن رسم هذه الطائرة ومقاساتها بمنتهى الدقة موجودة في مجلات عسكرية علمية متخصصة ، وأن هذه المجلات موجودة عندي في بيتي . إن ما يعتبرونه سراً كبيراً

منشور ليس في تقارير سرية فقط ولكن في مجلات عسكرية ، ولو كانوا مثقفين لقرءوا على الأقل ما هو مكتوب عنهم .

وكان أن قلت له ، ولماذا لم تقل لنا من البداية ؟ كنت أرحتنا ، ليس مما لاقيناه بسبب رفضهم ، ولكن بسبب المعانة النفسية التي ألحقت بنا .

فقال : أردنا أن تروا كل شيء على الطبيعة .

اتصل بي ذات يوم الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية يطلب مني التواجد صباح اليوم التالي في تمام الساعة التاسعة صباحاً بمطار شرق القاهرة العسكري ، وذهبت في الموعد المحدد لأجد وزير الحربية وعدد من كبار ضباط القوات المسلحة، وكان معهم كبير خبراء الروس في مصر ، وأقلعت بنا طائرة أنتينوف مزعجة ، وصلت إلى مطار أسوان بعد ساعتين من إقلاعها ، وكانت المفاجأة ، سمحوا للطائرة بالهبوط ، ولكن سلطات المطار الروسية رفضت السماح بأن ينزل من الطائرة أي من ركابها ، بما فيهم وزير الحربية المصري ، وبذل الوزير العديد من المحاولات إلا أن التعليمات كانت واضحة وصريحة ممنوع نزول المصريين في مطار أسوان وعلى رأسهم وزير الحربية .

ولم يكن أمام الطائرة إلا أن تقلع من المطار تنفيذاً للتوجيهات الروسية . دون أن يسمحوا لوزير الحربية بالنزول منها .

ترى هل هناك تفسير لرفض الروس نزول وزير الحربية في أحد المطارات المصرية، إلا أن التواجد الروسي في مصر ، أخذ صورة الاستعمار الذي يتخذ لنفسه قواعد عسكرية ، وليس كما كانوا يقولون إنهم خبراء أو مستشارون .

هناك قصص كثيرة ، ولكن أردت فقط أن أروي القصص الصارخة ، لكي يعرف أبنائي الشباب قيمة قرار أنور السادات بطرد الخبراء الروس . " [1]

([1]) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب عثمان أحمد عثمان " صفحات من تجربتي " المكتب المصري الحديث . فصل " الشيخ تي .. يو الروسي .

هل احتلَّ الخبراء السوفييت مصر أثناء حرب الاستنزاف ؟

يؤكد القضاء المصري على أن الخبراء السوفييت ، الذين استعان بهم عبد الناصر للدفاع عن سماء مصر عندما عجز عن الدفاع عنها ، يعتبرون نوعاً من الاستعمار الجديد فقد جاء في حكم المحكمة : " إن الرئيس السادات تسلَّم تركة مُثْقَلَةً بالديون والآثام التي لم تشهد لها مصر مثيلاً ... حيث الاحتلال الإسرائيلي البغيض الذي اقتطع الأرض واستلبها يريد ضمها لنفسه وحيث يوجد في الداخل استعمار من نوع جديد يكمن في العدد الهائل من الخبراء السوفييت الذين احتلُّوا بمطاراتهم الحربية الخاصة وموانيهم البحرية أهم المواقع الخاصة بالبلاد وفى أسوان ومرسى مطروح والإسكندرية والقاهرة ويفرضون على مستعمراتهم هذه ستاراً حديديّاً ويمنعون من دخولها حتى وزير الحربية المصري . " (١)

لماذا كثر العدوان العسكري على مصر في العهد الناصري ؟

يجب أن نعي جيداً أن جميع الاعتداءات التي وقعت على مصر وعلى جيشها في العهد الناصري والتي اضطرت عبد الناصر إلى اللجوء إلى السوفييت – منذ العدوان على العوجة والكونتلا إلى هزيمة ٦٧ والاحتلال الإسرائيلي والروسي لأجزاء من أرض مصر مروراً بحرب السويس وحرب اليمن – هذه الاعتداءات لم تجلبها مصر كدولة لها تاريخ حضاري مجيد ولها حدود تاريخية لا ينازعها في أحد، إنما الذي جلب كل الاعتداءات الخارجية على أرض الوطن وعلى القوات المسلحة هي السياسة الناصرية التي حوَّلت الأصدقاء إلى أعداء والأعداء إلى معتدين .

يقول د. فؤاد زكريا : " أما بناء الجيش القوي الذي كان واحداً من أهم الأهداف الستة لثورة يوليو ١٩٥٢ فكان أمر لا مفر منه إزاء التحدي الصهيوني الذي أثبت بعد عام ١٩٥٦ أنه لم يلتهم فلسطين فحسب بل أصبح يهدد كل بلد عربي ذي نزعة

---

(١) نُشِر حكم المحكمة في جريدة الأخبار في ٤ / ٩ / ١٩٧٨ .

استقلالية داخل أرضه والجهود التي بذلها عسكريون مخلصون يفخر بهم تاريخنا القومي قد ضاعت هباءً بسبب التفكك الذي أصاب القيادات العسكرية في ذلك الحين والذي جعلها تبدد عرق الشعب المصري وماله الذي كان يعتصره من قوته الضروري وتتركها تحت رحمة العدو كل عشر سنين .

والشيء الذي يدعو للأسى هو أن هذا التفسخ كان معروفاً للأجهزة التي كانت تحصي على المواطنين العاديين حركاتهم وسكناتهم ، ومع ذلك لم يحاول أحد تدارك الأمر ووضع الجيش في أيد أمينة جادة ، تعلم أن رسالتها الحقيقية هي الحرب والدفاع عن الوطن ، لا الإغراق في الملذات والدخول في مناورات ومؤامرات شخصية.

لم تكن النتائج المترتبة على انحلال القيادات العسكرية متعلقة بأوضاع الجيش ذاته فحسب بل لقد انعكست هذه النتائج بوضوح على السياسة الخارجية والداخلية معاً ففي مجال السياسة الخارجية ، كان الإخفاق السند العسكري الذي لا غناء لهذه السياسة عنه مؤدياً إلى انتكاسات أضاعت كثيراً من المكاسب التي تراكمت على مر السنين ، وأوضح دليل على هذا هزيمة يونيو ١٩٦٧ وما أدت إليه من فقدان للهيبة وللمكانة الدولية ومن ارتداد بالأهداف القومية إلى مستويات أدنى بكثير مما كانت تسعى إليه طوال السنوات السابقة.

وفي مجال السياسة الداخلية كانت كل هزيمة عسكرية تعني تبخر عصارة شقاء الإنسان المصري طوال سنوات عديدة ، وإلحاق هزيمة ممالة بآمال هذا الإنسان في حياة أفضل . [1]

لم يكن العيب في كارثة ٦٧ نقص الأسلحة ، ولا كفاءة المقاتل المصري ، ولكنه كان في نقص القيادات العليا وفي ضعف معظم ضباط الرتب الكبيرة ، كان الألوف

([1]) د. فؤاد زكريا " عبد الناصر واليسار المصري " روز اليوسف الكتاب الذهبي ص ٢٧ ، ٢٨ .

من المصريين يتساقطون فوق صحراء سيناء من طلقات الرصاص أو العطش وضربة الشمس ، وكان الأحياء يتعرَّضون لمهانة الهزيمة من القوات الإسرائيلية التي صورت ذلك في أفلام سينمائية لتعرض على الجماهير التي بهرها النصر المفاجئ الذي سبقه دعاية مدروسة ضخمة تظهر إسرائيل في مظهر الدولة الوديعة المعرَّضة لهجوم جيرانها العرب من أجل تدميرها وإلقاء اليهود في البحر."[1]

عملية الزعفرانة

واستمر تهديد إسرائيل لأمن مصر حتى توفي عبد الناصر ، فقبل وفاة عبد الناصر بعام واحد فقط قام الإسرائيليون بهجوم على الزعفرانة على الشاطئ شمال رأس غارب يوم ٩ سبتمبر وقد سيطرت القوات الجوية الإسرائيلية سيطرة كاملة على المنطقة وأنزلت ٩ دبابات على ثلاثة لنشات في غسق الفجر تحت الأضواء الكاشفة ، وسارت من أرض الإنزال جنوب العين السخنة على الطريق العام حتى وصلت إلى الزعفرانة مستغلة كونها دبابات مصرية استولى عليها في سيناء في يونيو ١٩٦٧ وظلت تحمل علامات الجيش الثالث.

وعندما وصل الخبر إلى عبد الناصر أثناء متابعته لمناورة تقوم بها القوات المسلحة كان الإسرائيليون مازالوا فوق الجانب الغربي لخليج السويس فقد امتدت غاراتهم من الخامسة صباحاً حتى الثالثة مساء دون أية مقاومة .

وتصادف أن كان محافظ البحر الأحمر اللواء حسين كامل في طريقه من الغردقة إلى القاهرة، وعندما واجهته القوات الإسرائيلية هشمت الدبابات سيارته ولحقته المدافع الرشاشة فأردته قتيلاً، كما دمرت أوتوبيساً مدنياً كان يحمل ٤٠ راكباً.

ويقول هيكل إن عبد الناصر وهو يتصل به حوالي السابعة من مساء نفس اليوم كان هابط المعنويات ، وقال له:

([1]) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج٢ مرجع سابق ص ١٩٩ .

" يبدو أننا ما زلنا نتصرف بأسلوب حرب ١٩٦٧ " .

ولذا فقد أصيب في اليوم التالي مباشرة ١٠ سبتمبر ١٩٦٩ بذبحة صدرية مفاجئة.[١]

هذه هي حالة الجيش بعد أكثر من عامين من هزيمة يونيو ٦٧ وسيطرة رجال عبد الناصر على الجيش بعد عزل عبد الحكيم عامر ورجاله ومحاكمتهم.

نقول هذا لأن الناصريين يقولون دائماً إن الجيش بعد ٦٧ قد أعيد تنظيمه وتدريبه بشكل مخالف لما كان عليه أيام عبد الحكيم عامر وهذا الجيش هو الذي حقق ملحمة السادس من أكتوبر ٧٣ بنفس نظامه وقياداته بل بنفس الخطة كذلك!! وهم ينتهزون دائماً فرصة احتفالات مصر بانتصار أكتوبر العظيم ليعيدوا " تقييم حرب الاستنزاف على نحو يحقق ادعاءاتهم التي تنسب نصر أكتوبر إلى عبد الناصر ، وتحرم محمد أنور السادات من شرف هذا النصر ، وأخذوا يسوقون مفترياتهم وأباطيلهم ، وشارك في ذلك بعض الكتَّاب الذين نسوا ميثاق الشرف الصحفي وعمدوا إلى التضليل والافتراء " [٢]

ما الذي حدث لجيش مصر حتى تحوّل من الهزيمة إلى نصر ؟

جنود مصر الأبطال الذين ظلمهم عبد الناصر وقواده في ٦٧ هم الذين عبروا في ١٩٧٣ لكن بعد موت عبد الناصر وتولي السادات الحكم .

انتصر جيش مصر بعد القضاء على القيادات العليا الفاسدة ، وزيادة عدد أفراد القوات المسلحة بنسبة ٥٠% ، وبعد أن تمَّ تدريبهم التدريب الجيد وتولى قيادتهم قادة من خيرة رجال مصر ، وبعد تحديث الجيش وتطويره ، واستخدام العلم والتكنولوجيا الحديثة التي استوعبها الجنود الحاصلين على المؤهلات العليا ، فلم تعد القوات

([1]) نقلاً عن أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج٢ مرجع سابق ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

([2]) د. عبد العظيم رمضان : حرب الاستنزاف بين الحقيقة والأباطيل " الهيئة العامة للكتاب ص ٥ ، ٦.

المسلحة تعتمد على أهل الثقة من المفسدين وعلى الأميين من المواطنين ، بل أصبحت تعتمد على أهل العلم والإيمان الذين كان شعارهم الله أكبر ، الله أكبر.

يقول سعد الدين الشاذلي الذي تولى رئاسة أركان القوات المسلحة المصرية ابتداءً من ١٦ مايو ١٩٧١ : " إن أنا في ١٦ مايو ١٩٧١، عندما وصلتُ القوات المسلحة، وعملتُ تقدير الموقف، أقدر أقول لك : وبالأرقام كان تعداد القوات المسلحة حوالي ٨٠٠ ألف في ذلك الوقت بالاحتياطي، بكله. عندما بدأ الحرب كنا وصلنا إلى مليون و ٢٠٠ ألف، يعني أضفنا ٤٠٠ ألف .. يعني نقدر نقول ٥٠% بالنسبة للإجمالي العام. إنما بالنسبة للضباط أضفنا حوالي ١٠٠%، يعني كان عندنا ٣٦ ألف ضابط، وعند بداية الحرب كان عندنا ٦٦ ألف ضابط، يعني أضفنا ٣٠ ألف ضابط في خلال سنتين، ودي كانت عملية غير مسبوقة.

أحمد منصور: لكن ده ما أثرش على الكفاءة ؟

سعد الدين الشاذلي: إطلاقاً .. إطلاقاً، لأن أنا شفت الناس اللي هم حاصلين على شهادات جامعية في القوات المسلحة وابتديت وأديهم هذا الـ course اللي هو مركز[1]

لقد استوعب قادة الجيش المصري الباسل أخطاء الماضي وتعلموا منها ، واستوعبوا معطيات الحاضر وطبقوها ، ولم يجرهم العدو من أنوفهم لدخول معركة لم يستعدوا لها بل هم الذين مرغوا أنفه في معركة حددوا هم زمانها ، وتحكموا هم في إداراتها .

حقيقة حرب الاستنزاف

وللأمانة العلمية يجب أن نعترف أن حرب الاستنزاف رغم الخسائر الفادحة التي نتجت عنها إلا أنها حققت بعض الأهداف العسكرية والمعنوية في صالح قواتنا.

يقول المشير عبد الغني الجمسي " كانت حرب الاستنزاف بكل متاعبها وخسائرها التي لحقت بنا في الأفراد والمعدات هي البوتقة التي صهرت المقاتل المصري وطورت

([1]) الفريق سعد الدين الشاذلي برنامج " شاهد على العصر" الجزيرة نت بتاريخ ١٩٩٩/٣/١٣ .

خبراته وعالجت جروحه النفسية والمعنوية العميقة التي تركتها فيه هزيمة يونيو ١٩٦٧، وهي برغم ضراوتها والأضرار المادية العسكرية والاقتصادية التي تحملناها فإن نتائجها الإيجابية كانت عظيمة الفائدة بعيدة الأثر في التمهيد للنجاح الذي تحقق في حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

لقد كان من الضروري أن تخوض قواتنا المسلحة حرب الاستنزاف وما سبقها من مراحل أخرى للقتال في مرحلتي الصمود والدفاع النشط ؛ لتدريب القوات عملياً في قتال فعلي ضد إسرائيل ، وهو ما يطلق عليه " التطعيم للمعركة " لزيادة قدرتها على تحمل مشاق القتال ، وزيادة خبراتها العملية في مواجهة المقاتل الإسرائيلي للتعرف على حقيقة عدوها وأسلوب القتال ، واستعادة الثقة في النفس والسلاح والقيادة . لقد خرجت القوات المسلحة بدروس مستفادة هامة خلال حرب الاستنزاف ، خصوصاً نقط ضعف العدو ونقط قوة وضعف قواتنا " [١]

هذه هي مكاسب مصر من حرب الاستنزاف إعادة الثقة للجندي المصري تلك الثقة التي فقدها في حروب عبد الناصر الخاسرة : حرب السويس ، وحرب اليمن، وحرب ٦٧ ، أما التعرُّف على الجديد في ترسانة السلاح الإسرائيلية ، ومعرفة نقط الضعف والقوة عندنا وعندهم ، وزيادة قدرة القوات المسلحة على تحمل مشاق القتال ، وزيادة خبراتها العملية في مواجهة المقاتل الإسرائيلي للتعرف على حقيقة عدوها وأسلوب القتال ، فإن إسرائيل قد استفادة من هذه الأمور بنفس قدر استفادتنا ، فقد تعرَّفت على الجديد في ترسانة السلاح المصرية والروسية ، ونقاط الضعف عندها وعندنا ، وزادت خبرتهم العملية في مواجهة المقاتل المصري والروسي .

وترتب على الخبرة التي اكتسبتها إسرائيل من حرب الاستنزاف إقدامها على بناء خط بارليف ، وإقامة الساتر الترابي ، ومد قناة السويس بأنابيب النابالم ، تلك الموانع

([١]) المشير محمد عبد الغني الجمسي " مذكرات الجمسي ، حرب أكتوبر ١٩٧٣ " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

الصعبة لم يتدَّرب الجندي المصري على اقتحامها في حرب الاستنزاف لأنها لم تكن قد بنيت بعد ، والتي كانت تحتاج إلى امتلاك مصر عدة قنابل ذرية لتحطيم خط بارليف ، وإحداث فتحات في الساتر الترابي ، هذا إلى إذا استطاعت أن تعبر القناة التي أمدتها إسرائيل بـ٣٦٠ ماسورة نابالم إن صبَّت ما في الخزانات الوصلة بها لتحوَّلت قناة السويس لبركان من لهب لا يشوى السمك في الماء بل يحرق الطير في السماء .

وكان الفضل لله تعالى من قبل ومن بعد ثم لأولئك الأبطال الذين خاضوا حرب ١٩٧٣ فقد استطاع الرائد مهندس أحمد مأمون أن يتوصَّل إلى مادة تتجمد في ماء القناة وأعطاها سرّا إلى قائد القوات البحرية المصرية وبدوره أعطاها إلى الرئيس السادات الذي أقرَّها، وتم التكتم عليها.

وفي الليلة التي سبقت العبور مباشرة قامت الضفادع البشرية بسد فتحات المواسير والبالغ عددها ٣٦٠ فتحة، ولم تفلح إسرائيل في إشعال حريق واحد طوال العبور.

أما اللواء باقي زكي يوسف رئيس فرع المركبات بالجيش الثالث الميداني أثناء حرب أكتوبر فهو صاحب فكرة استخدام ضغط المياه لأحداث ثغرات في الساتر الترابي والتي نجحت قواتنا في فتح الساتر الترابي في ساعات معدودة . [١]

ونحن لا ننكر أن تكون لحرب الاستنزاف بعض المكاسب المعنوية والعملية لقواتنا ولكن هذه المكاسب راح ضحيتها أكثر من عشرة آلاف مصري : أربعة آلاف من الجنود ، وستة آلاف من المدنيين حسب ما يصرح به هيكل في كتبه .

يقول هيكل عن ضحايا حرب الاستنزاف (١٩٦٧ – ١٩٧٠) : " قد وصلوا على الجانبين ٤٦.٠٠٠ غير قرابة ٦.٠٠٠ (ستة آلاف) من العمال المصريين أعطوا حياتهم في عملية بناء قواعد حائط الصواريخ الشهير . " [١]

([١]) محمد حسن " البطل أحمد مأمون " جريدة الأهرام بتاريخ ٦ ١٠ / ٢٠١٣ .

ويحاول هيكل – كعادته – الإيحاء بأن عدد القتلى الإسرائيليين مقارب من عدد الشهداء المصريين عندما يقول أن عدد الضحايا على الجانبين بلغ ٤٦.٠٠٠ قتيلاً والحقيقة أن الشهداء المصريين يمثلون النسبة الأعظم في هذا الرقم والتي لا تقل بحال عن ٤.٠٠٠ (أربعة آلاف) شهيد بالإضافة إلى ستة آلاف عامل فتكون المحصلة ١٠.٠٠٠ (عشرة آلاف) شهيد تضاف إلى ٢٥.٠٠٠ (خمسة وعشرين) ألف شهيد في هزيمة ٦٧ نفسها فيكون المجموع ٣٥.٠٠٠ ألف شهيد ، وأعود فأكرر هذه هي الأرقام الناصرية الرسمية ، وما خفي كان أعظم .

بقي شيء يستشهد به الناصريون على انتصارهم على إسرائيل في حرب الاستنزاف وهي تصريحات بعض القادة والسياسيين الإسرائيليين كقول إيبان وزير خارجية إسرائيل " إن خسائرنا في الأفراد والقتلى وفي المعدات جعلت حرب الاستنزاف غالية التكاليف بالنسبة لنا .. ولولا وقف إطلاق النار لواجهت إسرائيل تصاعداً في الحرب مع مصر ، وبالتالي زيادة القتلى والجرحى وتآكل التفوق الجوي الإسرائيلي "

فيجب أن نعرف أن إسرائيل لم تفقد من الجنود في هذه المعركة إلا بضع عشرات من الجنود في مقابل استشهاد عشرة آلاف من المصريين ، ولكن الفرق بيننا وبينهم أنهم :

– يعدون أية خسارة في الأفراد كارثة وإن انتصروا في المعركة فالفرد عندهم له قيمة ووزن وشأن .

– يهوِّلون من الخسائر رغبة في تقليلها فيما بعد ويقللون من الانتصارات رغبة في الاستزادة منها .

– يسوِّقون للآخرين وخاصة الغرب خسائرهم وتهديد وجودهم لكسب تعاطفهم ومساعدتهم والمحافظة على تفوقهم النوعي ضد العرب .

([1]) محمد حسنين هيكل " سنوات الغليان " مرجع سابق ص ١٩ ، وسامي شرف " عبد الناصر كيف حكم مصر " مرجع سابق ص ٣٨٢.

– يعملون على نشر هذه الأخبار ، وتصريحات الزعماء العرب النارية على دعم جبهتهم الداخلية بتوحدهم على كراهية العرب ونبذ الخلافات بينهم وزيادة العمل والإنتاج والاستعداد الدائم للحرب والقتال وتحمل تكاليفها المادية والمعنوية .

– يستخدمون هذه التصريحات في المنافسات الحزبية التي تخوِّل لأعضاء الأحزاب التهويل من الخسائر التي مُنِي بها المنافسون لهم لإضعافهم حزبياً ولتحقيق الأغلبية في الكنيست للتمكن من تشكيل الوزارة .

ويتصيَّد منافقو الزعماء والمنتفعون كلمة من هنا وأخرى من هناك تأتي على لسان قائد أو مسئول إسرائيلي أو غربي للتدليل على بطولات زعمائنا وعبقريتهم !!

أما قول إيبان وزير خارجية إسرائيل عن تآكل التفوق الجوي الإسرائيلي قبل قرار وقف إطلاق النار فذلك كان في شهر أبريل ومايو من سنة ١٩٧٠ حيث وصلت طائرات الدعم السوفيتي بأطقمها وهي التي استخدمت في حماية العمق المصري وتوجيه الأسراب المسئولة عن ذلك للجبهة الغربية من القناة وهي التي تعرَّضت للطائرات الإسرائيلية وأسقطتها .

يقول سعد الدين الشاذلي في الرد على سؤال أحمد منصور : " هل لعبت القوات للعسكرية للسوفيتية دور في الدفاع عن مصر؟

سعد الدين الشاذلي : طبعاً .. طبعاً لعبوا دور...

أحمد منصور: هل هذا كان سري أم الإسرائيليين كانوا على علم به ؟

سعد الدين الشاذلي: السر أصبح حقيقة يوم ١٨ إبريل ١٩٧٠م . طلع الطيران السوفيتي –لأول مرة– ليتصدى لطائرات إسرائيلية مُغيرة، فطبعاً الطيارات لما بتطلع الموجهين –من تحت– هو بيكلم زميله بالروسي، والموجه بيوجه بالروسي .. محطات الاستماع في داخل إسرائيل وداخل الأسطول السادس الأمريكي في البحر .. كل دول بيلتقطوا كل هذا مسموع .. فكان هذا بداية الإعلان الرسمي إن الروس موجودين في مصر، وحصل اشتباك " [1] .

([1]) الفريق سعد الدين الشاذلي برنامج " شاهد على العصر" الجزيرة نت بتاريخ ١٩٩٩/٣/١٣ .

أما نحن فبالإضافة إلى رخص دماء الأفراد على قادتنا ، فإن هؤلاء القادة والزعماء يحبون أن يظهروا أمام شعوبهم في صورة الأبطال العظام الذين يقهرون أعداءهم وهم في سبيل ذلك يجعلون من الهزائم انتصارات ومن كثرة الشهداء دليل البطولة والتضحيات كما أنهم يستغلون جهل الناس بالحقائق ليقولوا لهم ما شاءوا من أباطيل .

شهداء الوطن أم شهداء النظام ؟

قد يقول قائل إن الآلاف الذين استشهدوا قد استشهدوا في سبيل الله والوطن ، وهم فداء هيِّن للوطن الغالي ، ولكن هؤلاء الأبطال لم يموتوا في حرب لتحرير الوطن كما استشهد إخوانهم في السادس من أكتوبر ٧٣ . هؤلاء استشهدوا بسبب سياسة فاشلة وزعامة زائفة وقادة أقل ما يوصفون به إنهم ليسوا على مستوى المسئولية .

استشهد أكثر من خمسة وعشرين ألفاً في حرب يونيو ٦٧ التي أشعلها عبد الناصر دون أدنى استعداد ردّاً على اتهام بعض الحكام العرب له بالاختباء وراء قوات الطوارئ الدولية الموجودة في غزة وشرم الشيخ منذ العدوان الثلاثي !! وستة آلاف عامل كانوا يعملون في بناء حائط الصواريخ تحت قصف الطيران الإسرائيلي الذي يكاد يكون يوميّاً ، ولم يوفِّر لهم عبد الناصر أية حماية من الهجمات الإسرائيلية ، وأخيراً قَبِلَ مبادرة روجرز ، وزير الخارجية الأمريكي ، في ١٩ يونيو ١٩٧٠ التي كان المبدأ الأول فيها موافقة مصر وإسرائيل على وقف إطلاق النار على الأقل لفترة محددة .

فقامت مصر ، خلال فترات وقف إطلاق النار ، باستكمال حائط الصواريخ يقول عبد الناصر : " إننا نريد استكمال حائط الصواريخ لنقدر على حماية قواتنا في أي عمليات على الضفة الشرقية للقناة " [1] بينما بنت إسرائيل، خلال فترات وقف إطلاق النار ، خط بارليف لتمنع مصر من عبور القناة والتقدم لتحرير سيناء . فهل كان عبد

([1]) نقلاً عن عبد الله إمام " الافتراء على ثورة يوليو " مرجع سابق ص ٢٣٧.

الناصر في حاجة إلى التضحية بستة آلاف عامل مصري لكي يوافق في النهاية على مبادرة روجرز ؟!!

إذا كان يريد أن يبني حائط الصواريخ فلماذا لم يوفِّر للعمال الحماية الكافية بإجراءات سياسية أو عسكرية ؟!!

وقد قالت جولدا مائير (رئيس وزراء إسرائيل حينئذ) في ٢٦ يوليو ١٩٦٩ : " إننا على استعداد لاحترام وقف إطلاق النار " ووجهت الرجاء لمصر والدول العربية بوقف إطلاق النار على الجانبين " [١] .

ولكن عبد الناصر الذي كان جرح زعامته مازال ينزف من جراء هزيمة ٦٧ رفض هذه العروض بوقف إطلاق النار الذي كان يتيح له إعادة تسليح الجيش وإقامة حائط الصواريخ دون تعرض العمال لقصف الطيران الإسرائيلي ، رفض هذه العروض ليوهم من شمتوا فيه من المعارضين لسياسته في الداخل والخارج ، والذين وثقوا فيه من أبناء شعبه أنه لم يهزم في الخامس من يونيو ٦٧ بالضربة القاضية إنما خسر جولة واحدة ومازالت المباراة مستمرة ولم تنته بعد وهو يحاول أن يجمع نقاط بالعمليات الجزئية التي يشنها على إسرائيل !! مما جعل إسرائيل تكثف من غاراتها الجوية للقضاء على غرور عبد الناصر.

صرحت جولدا مائير لصحيفة الموند الفرنسية بتاريخ ١٨ – ١٩ يناير ١٩٧٠ برغبتها في رؤية نظام عبد الناصر يصاب بالشلل من غاراتهم المتلاحقة. [٢]

يقول ديان عن سبب قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز : " كان منطقيّاً أن نفترض أن مبادرة روجرز جاءت نتيجة طلب من عبد الناصر الذي كان قد وعد شعبه والعالم أن " ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة " وقد حاولت مصر خلال معركة فاشلة أن

([1]) نقلاً عن أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج٢ مرجع سابق ص ٣٢٦ .
([2]) نفسه ص ٣٢٦ .

تهزم إسرائيل وتجبرها على الانسحاب ، وكان آخرها حرب الاستنزاف . ولكن الحرب لم توصل مصر إلا إلى تحطيم مستودعات البترول ، وأصبحت مدن القناة مدن أشباح ، وتعرضت القواعد العسكرية في عمق مصر للقصف الجوي وقد طرد عبد الناصر القادة العسكريين والمدنيين . بالإضافة إلى أنه خيَّب آمال حلفائه العرب ، الأردن وسوريا بالاعتماد الكلي على الاتحاد السوفيتي. وقد جعلته كل هذه الحقائق يتجه مرة أخرى للولايات المتحدة . " [1]

الدارس لتاريخ حكم عبد الناصر يخرج بنتيجة مفادها أن أرواح جنود القوات المسلحة هي آخر شيء يفكر فيه عبد الناصر فمن أجل رفض أمريكا تمويل السد العالي اعتراضاً على سياسته المؤيدة للسوفييت والمعادية لأمريكا أمم قناة السويس واندلعت حرب السويس التي راح ضحيتها أكثر من ألف شهيد من القوات المسلحة غير شهداء المقاومة الشعبية ، ومن أجل تضميد جراح زعامته الجريحة بانفصال سوريا عن مصر زجَّ بالجيش المصري في الحرب الأهلية في اليمن التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل والتي راح ضحيتها أكثر من عشرة آلاف شهيد ، ومن أجل الرد على بعض حكام العرب الذين عيَّروه بمرور السفن الإسرائيلية رافعة أعلامها في المياه الإقليمية لمصر وتستره خلف القوات الدولية قام بإشعال فتيل الحرب بطرد هذه القوات التي راح ضحيتها ٢٥ ألف شهيد ، ومن أجل إثبات أن ٦٧ لم تكن إلا معركة في حرب عوان قام بحرب الاستنزاف التي راح ضحيتها عشرة آلاف شهيد!

والحقيقة أن المكسب يحسب بعد خصم الخسارة فإذا خَصَمْنَا الخسائر من المكاسب وجدنا أننا قد خسرنا كثيراً في حرب الاستنزاف ، وكان يمكن أن يستعاض عنها – بعد قبول وقف إطلاق النار – بالتدريب الجيد والخطط المحكمة والقيادات الواعية المخلصة ، والروح المعنوية العالية والمناورات الحقيقية والأخذ في أسباب العلم والتكنولوجيا ، وقبل هذا وذلك إيمان راسخ بالله تعالى . كل هذا كان سيعدُّ الجيش

([1]) مذكرات موشيه ديان بعنوان " ديان يعترف " مرجع سابق ص ٢٥٩ .

لحرب حقيقية مع إسرائيل دون الحاجة إلى الخسائر الفادحة في النفوس والمنشآت والسلاح ، وهذا ما تحقق بالفعل في ٦ أكتوبر فقد توقفت تماماً حرب الاستنزاف بعد موافقة عبد الناصر على مبادرة روجرز ، واستمر وقف إطلاق النار لأكثر من ثلاث سنوات حتى جاء النصر في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

يقول أمين هويدي : " وأحب أن أؤكد هنا أنه في فترة من الفترات وفي عام ١٩٧٠ بالذات تمكَّن العدو من تدمير نظام دفاعنا الجوِّي في قناة السويس بعد غارات كثيفة مركَّزة كبَّد فيها خسائر جسيمة ومكان من الطبيعي أن نتكبَّد نحن خسائر فادحة في المقابل مما اضطرنا معه في ذلك الوقت لقبول مشروع روجرز وكان ذلك القبول بهدف عسكري هو إتاحة الفرصة لقواتنا للقفز بحائط الصواريخ إلى الأمام ، وقد عُقد مؤتمر لتنفيذ هذه الخطة في اليوم التالي لقبولنا مشروع روجرز . " [١]

يقول د. عبد العظيم رمضان في كتابه " حرب الاستنزاف بين الحقيقة والافتراء": " إن حرب الاستنزاف يجب أن تقيم ببحث ما إذا كانت هذه الحرب قد حققت أهدافها التي استهدفتها مصر من القيام بها أم أنها حققت نتائج مخالفة ومتناقضة !

وبمعنى آخر : هل كانت حرب الاستنزاف التي شنتها مصر عتبة للتحرير أو كانت عقبة في طريق التحرير ؟

وربما كانت إجابة عبد الناصر في هذا الصدد كافية لحسم القضية ، عندما قبل مبادرة روجرز التي أنهت حرب الاستنزاف ، فعندما أثار هذا القبول ثائرة الفلسطينيين والدول العربية وعلى رأسها وعلى رأسها العراق ، كانت إجابة عبد الناصر على اعتراض ياسر عرفات في المقابلة التي جرت بينهما : " إن المضي في حرب الاستنزاف على حين أن إسرائيل تتمتع بتفوق جوي كامل معناه ببساطة أننا نستنزف أنفسنا ! " [٢]

([1]) أمين هويدي : " أضواء على أسباب نكسة ٦٧ وعلى حرب الاستنزاف ٦٧ مرجع سابق ص ١٣٤.
([2]) د. عبد العظيم رمضان : حرب الاستنزاف بين الحقيقة والأباطيل " مرجع سابق ص ١٢.

ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه " الطريق إلى رمضان " وكان برفقة عبد الناصر في زيارته لليبيا أنه شعر بأن عبد الناصر وافق على المبادرة بمجرد قراءتها وهو في ليبيا لأنه كان يود كسب الوقت الكافي لبناء حائط الصواريخ على الضفة الغربية لقناة السويس ، وكان هذا الخط قد بدئ فعلاً في إنشائه منذ فترة وجيزة.. في يوم ١٦ يوليو ١٩٧٠ وقبل مغادرة عبد الناصر موسكو بيوم واحد في طريق عودته للقاهرة قابل بريجنيف وأخبره بنيته قبول مشروع مُمْهَر بالعلم الأمريكي ؟ فرد عبد الناصر عليه بأن هذا ما يريده تماماً فلا بد لنا من وقت نلتقط فيه الأنفاس للانتهاء من بناء مواقع الصواريخ وإعطاء قواتنا وأفراد شعبنا فترة قصيرة من الراحة ، ولتقيل خسائرنا من المدنيين .

هل ترك عبد الناصر خطة هجومية لتحرير الأراضي المحتلة ؟

كثير من الناصريين ينسبون نصر أكتوبر ٧٣ لعبد الناصر بدعوى أنه أشرف على إعداد الخطة الهجومية لتحرير كل سيناء حتى الحدود الدولية مع فلسطين المحتلة ، تلك الخطة التي كانت القوات المسلحة على أهبة الاستعداد لتنفيذها لولا أن موت عبد الناصر حال دون ذلك .

ذكر الفريق محمد فوزي أنه أبدى للرئيس عبد الناصر استعداد القوات المسلحة لبدء معركة التحرير فور انتهاء فترة وقف إطلاق النار المؤقت في ٧ نوفمبر ٧٠، وأكد الفريق فوزي في مذكراته أنه في الأسبوع الأول من سبتمبر ٧٠ حصل على تصديق شفهي من عبد الناصر على تنفيذ الخطة ٢٠٠ ، على أن يركز على تنفيذ الخطة جرانيت أولاً وهي الوصول إلى منطقة المضايق ، وعلى أن يتم تنفيذ ذلك بمجرد انتهاء فترة وقف النار .

يقول الفريق فوزي : " وانتهت حرب السنوات الثلاث يوم ٨/٨ /١٩٧٠ بمكاسب سياسية لمصر كما أن القوات المسلحة أصبحت قادرة على تنفيذ خطة تحرير سيناء

بالقوة مطبقة الخطة ٢٠٠ التي تدربت عليها عملياً وبالجنود لتحرير سيناء في اثني عشر شهراً " [1] .

ويعلِّق اللواء جمال حماد على كلام محمد فوزي قائلاً : " ورغم ما ذكره الفريق فوزي في مذكراته بشأن الخطة الهجومية ٢٠٠ ومرحلتها الأولى " جرانيت" فإن هناك عدة حقائق مهمة تجعلنا نشك في صحة ما سجله الفريق فوزي ، سواء من ناحية الخطة الهجومية التي وضعها أو من ناحية إتمام القوات المسلحة استعداداتها لشن الهجوم في التاريخ الذي حدده " [٢] .

وفنَّد اللواء جمال حماد مزاعم الفريق فوزي حول الخطة الهجومية في أكثر من عشرين صفحة من كتابه الموثَّق "المعارك الحربية على الجبهة المصرية" ، وبهذه المزاعم يحاول الفريق فوزي أن يمحو عن نفسه وعن زعيمه عار هزيمة يونيو ٦٧، وينسب لنفسه ، كقائد عام للقوات المسلحة ، ولعبد الناصر شرف نصر أكتوبر المجيد، ويحرم الرئيس السادات عدوِّه اللدود الذي ألقى به في السجن من هذا الشرف!

يقول سعد التائه أحد الكتاب الناصريين : " غادرنا الزعيم القائد عبد الناصر وانتصرت قواته في حرب أكتوبر " [٣] .

وفي موضع آخر من كتابه " ٥ يونيو نكسة أم مؤامرة " الذي يبرئ فيه عبد الناصر من مسئولية هزيمة يونيو ويلقي بها على عاتق عبد الحكيم عامر وقادة القوات المسلحة يقول سعد التائه: " كان رفع " العلم المصري " فوق قلاع خط بارليف قمة انتصارات ثورة يوليو التي قادها عبد الناصر فمنذ ٩ يونيو ٦٧ حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ عمل عبد الناصر بجهد خارق ؛ ليزيل صورة اليأس التي خيمت بعد الهزيمة ، وفي خطوات متتالية وعلى أسس ثورية أعد كل شيء ليوم الثأر وتحرير الأرض " [٤]

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق ط٢ ١٢.
([2]) جمال حماد " المعارك الحربية على الجبهة المصرية " دار الشروق ص ٣٠.
([3]) سعد التائه " ٥ يونيو نكسة أم مؤامرة " مرجع سابق ص ١١٠.
([4]) سعد التائه " ٥ يونيو نكسة أم مؤامرة " مرجع سابق ص ١٣٦.

وفي موضع ثالث يقول سعد التائه : " لابد من الرد على الذين ينسبون النصر لغير عبد الناصر " [1] .

يقول أحمد شوقي على لسان كليوباترا ملكة مصر التي نسب لها المنافقون نصراً زائفاً في معركة " أكتيوم البحرية " وراح الشعب المخدوع يتغنى بأناشيد النصر، وبعبقرية كليوباترا الحربية!! مع أن الحقيقة كانت انسحاباً مذلاً من المعركة.

يا لإفك الرجال ماذا أذاعوا؟ * كذب ما رووا صـــراح لعمر

أي نصر لقيت حتى أقاموا * ألسن الناس في مديحي وشكري

ظفر في فم الأماني حلو * ليت لنا منه قلامة ظـــــفـر

وغداً يعلم الحقيقة قومي * ليس شيء على الشعوب بسرِّ

ولقد عرفت الشعوب حقيقة الخطة الهجومية ، وتأكدت من مزاعم المبطلين.

أما حسنين هيكل فيمسك العصا من المنتصف فلا يريد أن يحرم زعيمه من شرف نصر أكتوبر ٧٣ فينسب له إعداد الخطط الثلاث (جرانيت ١ ، جرانيت ٢، و٢٠٠) التي خاضت القوات المسلحة المصرية على أساسها حرب ٧٣ .

يقول هيكل : " وقد تم وضع الخطط الثلاث قبل رحيل جمال عبد الناصر وصدَّق بتوقيعه على أولاها [2] ، ثم وقَّع أنور السادات على جرانيت ٢ ، والخطة ٢٠٠ عندما قدمها إليه محمد فوزي وزير الدفاع وقتها في شهر مارس ١٩٧١." [1]

([1]) سعد التائه " ٥ يونيو نكسة أم مؤامرة " مرجع سابق ص ١٤٠.

([2]) الخطة التي يزعم هيكل أن عبد الناصر قد صدَّق عليها هي (جرانيت ١) . وهدفها عبور قناة السويس بقوة خمس فرق من المشاة والمدرعات تعمل تشكيلاتها تحت إمرة ثلاثة من قواد الجيوش يختص كل منهم بمنطقة على الخط الطويل الممتد من بورسعيد إلى السويس ، والمهمة للثلاثة عبور قناة السويس بقوة السلاح والتمسك بثلاثة رءوس كباري عرضها عشرة كيلومترات على الأقل كي تظل في حماية حائط الصواريخ حتى تسيطر على رءوس الكباري التي تبدأ منها الطرق الرئيسية الثلاثة : الجنوبي والأوسط والساحلي . " محمد حسنين هيكل " استئذان في الانصراف " دار الشروق ص ١٥.

ولكنه يستدرك على ذلك ويعترف بإجراء زيادات وتعديلات كبيرة على هذه الخطط قبل تنفيذها في ٧٣ وهو بهذا لا يريد أن يحرم السادات أيضاً من شرف التخطيط لحرب العاشر من رمضان ، وهيكل – رغم ولائه لعبد الناصر وعدائه للسادات – لا يستطيع أن يتجاهل حقيقة الخطط العسكرية التي تم تصديق السادات عليها لبدء الحرب وهو الذي شرَّفه السادات بأن عهد إليه بكتابة التوجيه الاستراتيجي لبدء حرب أكتوبر ١٩٧٣ الصادر عنه بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة .

يقول هيكل : " بلغ اعتزازي مداه حين عهد إليَّ أنو السادات بكتابة التوجيه الاستراتيجي الصادر عنه بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة ، إلى القائد العام المشير أحمد إسماعيل علي ، يبلغه رسمياً ومعه هيئة أركان الحرب بالطلب الاستراتيجي المراد تحقيقه بقوة السلاح ابتداء من الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ " [٢] .

وبعد أن قال هيكل : "وكانت هناك يوم صدور التوجيه الاستراتيجي ثلاث خطط محددة ." [٣] وضعت قبل رحيل جمال عبد الناصر استدرك على ذلك – وقد حرقت الحقيقةُ أصابعَه – بقوله : " ومن الإنصاف أن يُقال إن هذه الخطط وبالذات جرانيت ١ ، ٢ لحقت بها زيادات وتعديلات في السنوات ما بين ١٩٧٠، ١٩٧٣ وأن هذه الزيادات والتعديلات رفعت مستواها ودعمتها بخبرات مستجدة وقفزات كبيرة بتكنولوجيا السلاح ، وخصوصاً في استخدامات الصواريخ ، والفضل عائد إلى الرجال الذين تولوا وزارة الدفاع في تلك السنوات، ورؤساء أركان الحرب وقادة الأسلحة والتشكيلات ، مما أضاف إلى فكرة الخطة وتفاصيلها ، وغير أحياناً أسماءها وجعلها علامة بارزة في التاريخ العسكري . " [٤]

([1]) محمد حسنين هيكل " استئذان في الانصراف " دار الشروق ص ١٦ .
([2]) نفسه ص ١٢ .
([3]) نفسه ص ١٤ .
([4]) نفسه ص ١٦ .

والحقيقة التي أكدها صاحب قرار حرب أكتوبر ، وأكدها القادة الأبطال الذين خططوا للحرب وخاضوها وحققوا فيها النصر الكبير أنهم لم يتسلموا من العهد الناصري أية خطة هجومية ، وكل الذي تسلموه هو خطط دفاعية فقط .

يقول الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة وصاحب قرار حرب أكتوبر المجيدة : " إن الخطة الدفاعية ٢٠٠ التي استلمتها من عبد الناصر قد انهارت ، فقبل أن يموت عبد الناصر بشهر واحد دعاني وذهبنا سويًّا إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة في مدينة نصر ، وهناك جمع القادة المصريين والخبراء السوفييت ومحمد فوزي وزير الحربية في ذلك الوقت ووقف الخبراء السوفييت والقادة المصريين لمدة ٧ ساعات أمام عبد الناصر وأمامي يشرحون الخطة الدفاعية ٢٠٠ التي أقرها الجميع . كان هذا هو الوضع العسكري الذي تسلمته من عبد الناصر ، خطة دفاعية سليمة ١٠٠% ولكن لا وجود لخطة هجومية . " [١]

ونشر الفريق أول محمد أحمد صادق [٢] مقالاً في نوفمبر ٨٤ ذكر فيه أن التفكير في حرب شاملة لتحرير كل الأراضي المحتلة في سيناء أمر لم يكن مطروحاً عندما كان قائداً عاماً للقوات المسلحة ما دام ميزان القوى كان وقتئذ لصالح إسرائيل ، وما دامت قدرة مصر على الحصول على الاحتياجات المطلوبة لمثل هذه الحرب كانت رهناً بسياسات الاتحاد السوفيتي . وليس بخاف أن القادة السوفيت كانوا ضد فكرة نشوب حرب جديدة بين العرب وإسرائيل . " [٣]

ويقول سعد الدين الشاذلي رئيس أركان القوات المسلحة في حرب أكتوبر ٧٣ : " عندما عينت رئيساً لأركان القوات المسلحة المصرية (ر.أ.ح.ق.م.م) في ١٦ من

([1]) محمد أنور السادات " البحث عن الذات " مرجع سابق ص ٢٤٨ .

([2]) الفريق أول محمد أحمد صادق قد تولى منصب رئيس أركان القوات المسلحة اعتباراً من ١٠ سبتمبر ٦٩، وبعد أن أمضى حوالي عشرين شهراً في هذا المنصب عهد إليه بمنصب القائد العام للقوات المسلحة يوم ١٣ مايو ٧١ ، واستمر في منصبه حوالي عام ونصف العام حتى نحَّاه السادات في ٢٦ أكتوبر ٧٢ .

([3]) جمال حماد " المعارك الحربية على الجبهة المصرية " دار الشروق ص ٣٢، ٣٣.

مايو ٧١ (بعد رحيل عبد الناصر) لم تكن هناك خطة هجومية ، وإنما كانت لدينا خطة دفاعية تسمى " الخطة ٢٠٠ " وكانت هناك أيضاً خطة تعرضية (هجومية) أخرى تشمل القيام ببعض الغارات بالقوات على مواقع العدو في سيناء ولكنها لم تكن في المستوى الذي يسمح لنا بأن نطلق عليها خطة هجومية ، وكانت تسمى " جرانيت ". بدأت عملي بدراسة إمكانات القوات المسلحة الفعلية ومقارنتها بالمعلومات المتيسرة عن العدو بهدف الوصول إلى خطة هجومية تتمشى مع إمكانياتنا الفعلية . " [1]

وبهذا يتضح جليّاً كذب الناصريين الذين ينسبون انتصار أكتوبر للخطة جرانيت الناصرية ، والحقيقة التي يذكرها القادة العسكريون الذي شاركوا في حرب أكتوبر المجيدة أن خطة نصر أكتوبر كان في البداية اسمها " المآذن العالية " وضعها الفريق سعد الشاذلي رئيس الأركان بعد حوالي شهرين من تعينه رئيسًا للأركان وناقشها معه الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية آنذاك ، والفريق أحمد إسماعيل الذي خلف الفريق صادق في وزارة الحربية وعدد محدود للغاية من القادة وفي سبتمبر عام ١٩٧٣ أطلق على الخطة اسم " بدر" .

من الذي وضع خطة حرب أكتوبر ؟

يقول سعد الشاذلي : " وبعد مناقشات مطولة وعبر جلسات وأيام متعددة وصلنا إلى تجهيز خطتين : خطة تهدف إلى الاستيلاء على المضايق ، وأخرى تهدف إلى الاستيلاء فقط على خط بارليف أطلقنا على الخطة الأولى اسم "العملية ٤١" وقمنا بتحضيرها بالتعاون مع المستشارين السوفيت بهدف إطلاعهم على ما يجب أن يكون لدينا من سلاح وقوات لكي نصبح قادرين على تنفيذ هذه الخطة .

أما الخطة الثانية فقد أطلقنا عليها الاسم الكودي " المآذن العالية " وكنا نقوم بتحضيرها في سرية تامة ، ولم يكن يعلم بها أحد من المستشارين السوفيت . كما أن

([1]) الفريق سعد الشاذلي " مذكرات حرب أكتوبر " الطبعة الرابعة دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية سان فرانسيسكو ٢٠٠٣ ص ٣ .

عدد القادة المصريين الذين سمح لهم بالاشتراك في مناقشتها كان محدوداً للغاية ، وفي خلال يوليو وأغسطس ١٩٧١ كانت الخطتان قد تمَّ استكمالهما . كانت " الخطة ٤١ " غير قابلة للتنفيذ إلا إذا توافرت أسلحة ووحدات افترضنا وجودها ، أما خطة " المآذن العالية " فقد كانت أول خطة هجومية واقعية .

وفي خلال عام ١٩٧٢ أخذنا ندخل بعض التعديلات الطفيفة على كل من " الخطة رقم ٤١ " وخطة " المآذن العالية " وذلك بناء على التغير المستمر في حجم قواتنا وحجم قوات العدو ، ولكن جوهر كل خطة بقي كما هو عليه ، ولكن تم تغيير اسم "الخطة ٤١" لتكون "جرانيت ٢" وبنهاية عام ١٩٧٢ بقيت خطة "المآذن العالية" هي الخطة الوحيدة الممكنة .

عندما عين الفريق أحمد إسماعيل وزيرا للحربية وقائداً عاما للقوات المسلحة خلفاً للفريق صادق في نهاية شهر أكتوبر ١٩٧٢ عرضت عليه خططنا الهجومية لمناقشتها معه .. وقد اقتنع بعدم قدرتنا على تنفيذ الخطة " جرانيت ٢ " وأنه يجب علينا أن نركز على خطة " المآذن العالية " وتحدد ربيع ١٩٧٣ كميعاد محتمل للهجوم .

ولقد أخذت الخطة الهجومية " المآذن العالية " صورتها النهائية بعد أن تغير اسمها من " المآذن العالية " إلى " بدر " ولم يطلق اسم " بدر " على العملية الهجومية إلا خلال شهر سبتمبر ١٩٧٣ بعد أن تحدد يوم الهجوم ليكون ٦ من أكتوبر الموافق ١٠ من رمضان ١٣٩٣ ". [١]

كيف تم الإعداد لحرب أكتوبر ؟

وذكر المشير عبد الغني الجمسي ، رئيس هيئة العمليات القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر ، كيف قاموا بالإعداد للمعركة في ضوء الخطة الموضوعة فيقول :

([١]) الفريق سعد الشاذلي " مذكرات حرب أكتوبر " مرجع سابق ص ٩- ١١ بتصرف .

" وضعنا في هيئة العمليات – مبادأة من الهيئة – هذه الدراسة على ضوء الموقف العسكري للعدو وقواتنا ، وفكرة العملية الهجومية المخطط لها ...

ووصلنا من هذه الدراسة المستفيضة إلى تحديد أنسب الشهور ، وكان أفضلها هو شهر أكتوبر ١٩٧٣ حيث إن ظروف الطقس والأحوال الجوية مناسبة للعبور، وأن فترة الليل طويلة ، فضلاً عن أن حالة البحر مناسبة للعمليات البحرية ، والشهر يزدحم بثلاثة أعياد ، وتستعد فيه الدولة لانتخابات البرلمان الإسرائيلي . ويأتي شهر رمضان المبارك بما له من تأثير معنوي على قواتنا ، ولا يتوقع العدو الإسرائيلي قيامنا بالهجوم في شهر الصيام .

واستكملنا في نفس هذه الدراسة الطويلة والعميقة اختيار اليوم المناسب في كل شهر وقع عليه الاختيار بحيث يكون عطلة رسمية ، وأن يكون فرق المنسوب بين المد والجزر في القناة أقل ما يمكن لتوفير ظروف أفضل لعبور القوارب وتشغيل المعدات وإنشاء الكباري ، وأن يتميز بضوء القمر الساطع في النصف الأول من الليل حتى تقام الكباري ليلاً في ضوء القمر ، ثم يبدأ عبور القوات في الظلام خلال النصف الثاني من الليل .

وكان يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (١٠ رمضان ١٣٩٣) هو أحد الأيام المناسبة وهو الذي وقع عليه الاختيار فقد توفَّرت فيه الشروط الملائمة لاقتحام القناة والهجوم ، فهو يوم عيد – عيد الغفران – في إسرائيل ، والقمر في هذا اليوم (١٠ رمضان) مناسب ومضيء من غروب الشمس حتى منتصف الليل بالإضافة للعوامل الأخرى السابق شرحها .

سلمت هذه الدراسة بنفسي مكتوبة بخط اليد لضمان سريتها – للفريق أول أحمد إسماعيل الذي قال لي إنه عرضها وناقشها مع الرئيس السادات في برج العرب في أوائل أبريل ١٩٧٣ وبعد عودته أعاداها لي باليد ، ونقل لي انبهار وإعجاب الرئيس

السادات بها ، وعبَّر عن شكره لهيئة عمليات القوات المسلحة لمجهودها في إعداد هذه الوثيقة الهامة " [1] .

هؤلاء هم الأبطال أصحاب الفضل بعد الله في نصر أكتوبر العظيم : الرئيس السادات ، أحمد إسماعيل ، سعد الدين الشاذلي ، عبد الغني الجمسي ، وقادة الأسلحة والجيوش والأفرع وضباط وصف ضباط وجنود القوات المسلحة الباسلة وأخص بالذكر اللواء باقي زكي يوسف رئيس فرع المركبات بالجيش الثالث الميداني أثناء حرب أكتوبر صاحب فكرة استخدام ضغط المياه لأحداث ثغرات في الساتر الترابي ، والرائد مهندس أحمد مأمون الذي توصل إلى مادة تتجمد في ماء القناة لسد فتحات مواسير النابالم وحمى قواتنا من تحوُّل قناة السويس إلى جحيم عند عبور قواتنا .

لماذا يصر بعض الناصريين أن يبخسوا الناس أعمالهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا إلا أن يكون من المفسدين في الأرض ؟

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء:١٨٣]

والله تعالى يتوعد الذي يفرحون بإضلالهم الناس، ونسبة الناس إياهم إلى العلم والإصلاح وهم جهلة مفسدون ، ويحبون أن ينسبوا البطولة والنصر لأنفسهم وهم الجبناء الذين فروا يوم الزحف في كل معركة دخلوها ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨]

جاء في مناسبة نزول هذه الآية الكريمة أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلَّفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ،

([1]) المشير عبد الغني الجمسي " مذكرات الجمسي ، حرب أكتوبر ١٩٧٣ " مرجع سابق ص ٢٦٧ ، ٢٦٨

قال رسول الله ﷺ : " من ادَّعى دعوى كاذبةً ليتكثرَ بها لم يَزدْه اللهُ إلا قِلةً " [متفق عليه] وقال أيضاً ﷺ : " إنَّ المُتشبِّعَ بما لم يُعْطَ كلابسِ ثوبَيْ زورٍ " [مسلم]

ولقد كشفت الأيام الدعاوى الكاذبة على حرب أكتوبر من المتشبعين بما لم يعطوا فلم يزدهم الله إلا قلَّة وكشف عن أثواب الزور التي لبسوها .

هذه هي حقيقة الخطة الهجومية التي نفذتها قواتنا المسلحة الباسلة في ٦ أكتوبر وحققت بها النصر العظيم التي يريد الناصريون أن ينسبوها زوراً وبهاتناً لعبد الناصر ليُجَمِّلُوا عصره عصر الهزائم العسكرية بهذه الفرية !

وهناك قضية مهمة لها علاقة بالأمن الخارجي وهي علاقة مصر بالوطن العربي، أو ما أسماها عبد الناصر بالقومية العربية ، وهي من أكبر ما يعتز به الناصريون في التجربة الناصرية .

***